

- ٩١ -

على الابداع أو على منح الوجود؟ أو هل من الكيفيات المفهومة أن نقول إن الوجود كله طبقة واحدة بين ما كان أزليا أبديا وبين ما كان ذا زمان؟
أو هل من الكيفيات المفهومة أن نقول إن الوجودين منعزلان لا علاقة بينهما بحال من الأحوال؟

أو هل من الكيفيات المفهومة أن نقول إن هذه العلاقة تقف عند حد لا تتعداه كما قال أرسطو حين زعم أن الله حرك العالم ووقفت علاقته به بعد ذلك؟

كل أولئك غير مفهوم في العقل ولا مفهوم في الإيمان .
ولكننا نفهم ولا نشك - دينا وعقلا - أن الوجود الكامل المطلق يصنع شيئا يقتضيه كماله . وأن الصانع من المصنوع . وأن المصنوع لا ينزول عن الصانع ، وإن أعيانا أن نحصر الصلة بينهما حصر الإحاطة والاستيعاب .
والأديان جميعا تؤمن بهذه العلاقة بين الخالق والمخلوق ، ولكنها تفرق بين علاقة الخالق بالمخلوقات وبين علاقة السبب المادى بالمسببات المادية ، أو علاقة الحتم « الآلى » بين المقدمات والنتائج في القياس .

فالسبب المادية - بالغة ما بلغت من العظمة - لا ننشىء دينا ولا نقرطمأنينة الإيمان في قلب إنسان .

والكون عظيم واسع لا شك في عظمته واتساعه . ولكن الإنسان لا يقنع بعظمته واتساعه ليؤمن به ويطمئن إليه ، وإنما يركن إلى الإيمان حين يبحث عن إرادة حية وراء الكون كله ووراء الأسباب فيه والمسببات .

فالعلاقة اللدنية علاقة حية بين خالق واع ومخلوقات واعية ، تدعوه فيستجيب وتصلى إليه وتؤمن بجدوى الصلاة .

والقرآن صريح في إثبات هذه العلاقة بين المعبود والعباد : « وإذا سألك عبادى عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

والقرآن صريح كذلك في حث الناس على الاستعانة بأنفسهم والاعتماد